المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الاستشراق الفرنسي وأثره في الجزائر الجانب الاجتماعي– أنموذجا-

الطالب بركان بن يحي، إشراف : أ . د/ حنيفي بن ناصر.
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم -

تاريخ الإرسال: 15 أوت 2018	تاريخ القبول: 16 سبتمبر 2018	تاريخ النشر: 01 أفريل 2019.

ملخص:

لعب الاستشراق دورا مهما في احتلال الجزائر لأنه رسل المهمات القذرة ولعب على جميع الأوتار من أجل استيطان الجزائر مدة طويلة وخاصة المجال الاجتماعي. لقد أريد بالجزائر أن تكون أندلسا جديدة، أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الإسلامي، وأن تبتلعها الصليبية الأوروبية، ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنسى لحظة ولا تكف، واستخدمت كل الوسائل التي لا تعرف البشرية أقصى منها ولا أمكر منها ولا أفتك منها. ولكن الجزائر بدل أن تموت انتفضت حية بدلا من أن تنهار ، تماسكت وتجمعت وأعلنت وجودها بفضل الله ورجالاتها ولم يعرف بلد آخر من الشرق أو الغرب ما عرفته الجزائر من أساليب الاستشراق لم تعرفه حتى الأندلس وحتى فلسطين .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الصراع الطبقي ، الصراع الحضاري ، سيسيولوجيا.

Résumé

Au cours de l'occupation Française de l'Algérie . L'occupant trouvait une société algérienne cohérente soit sur le plan culturel idem pour la religion . Alors il utilisait tous les moyens douteux qui se trouvaient à sa disposition pour détruire ce tissu qui était bien tisser . les tentatives de l'occupant .voulez une société typiquement européen avec tous ses ingrédients mode icesde vie –religion (christianisme) nais en vain grâce à la vigilance et les sacrifices de ce noble peuple qui arrivait à mettre toutes ces démarches en échec parce que l'algérien avait une croyance indéterminée pour son islam et ses sources arabo berbère.

les mots clés: Orientalisme, lutte des classes, conflit de civilisation, sociologie.

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة :

إن الاستشراق ظاهرة معقدة شكّلتها عوامل عدة ، دينية ، استعمارية و سياسية و اقتصادية و ثقافية حضارية ،و هو اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة و حضارة الإسلام بصفة خاصة.

وقد كان مختصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام و اللغة العربية ثم اتسع ليشمل الشرق بلغته و تقاليده و آدابه فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام و اللغة العربية و لغات الشرق و أديانه و آدابه[1].

ولقد لعبت فرنسا دورا كبيرا في كل هذا على اعتبار أنها في يوم من الأيام كانت قبلة المستشرقين في عهد دي ساسي ماسنيون و غيرهم[2].

ولعب دافع الاستعمار دورا مهما إلى جانب حاجة النهضة الأوروبية إلى ثروات إضافية دفعت الدول الأوروبية و على رأسها فرنسا في التفكير في التوسع و احتلال دول أخرى نظرا لما تتوفر عليه من مقومات معنوية و كنوز حضارية.

فعلى أرضه شيدت حضارات و ثقافات وولدت علوم وفنون، و من أجل ذلك عنيت فرنسا الاستعمارية لحركة الاستشراق في كل صغيرة و كبيرة ، فكان ملوكها و زعماؤها و قناصلهم عمدا لها و هذا ما جسده الاستعمار الفرنسي أثناء احتلاله للجزائر حيث بذل المستشرقون كل مجوداتهم الفكرية و المادية في سبيل التغلغل في وسط المجتمع الجزائري و التحكم فيه و السيطرة عليه فاتجه إلى الفرد و الجماعة و الأخلاق و التعليم و اللغة و الآداب و الفنون و العلوم و الآثار و الدين و كل ما يخص الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري من أجل إنتاج مجتمع على الطريقة الغربية تحت عنوان الإدماج الجزائري الفرنسي[3] ،و من أجل ذلك أولت السلطات الفرنسية اهتماما بالمستشرقين للفهم الحقيقي للمجتمع الجزائري ، و راحت من أجل ذلك تعمل على خلق سلوكات غريبة عن المجتمع الجزائري، و جعلت السموم تنتشر في المجتمع الجزائري ، أفسدت أولا اللغة ثم التعليم ثم العادات و التقاليد و خربت الثقافة، و هذا من أكبر الجرائم التي لا تغتفر ،لأن احتلال الأرض زال بزوال فرنسا و لكن تخريب الثقافة و اللغة والدين مازالت الجزائر تدفع ثمنه إلى حد الساعة[4].

و قبل أن نخوض في نشاطات الاستشراق الفرنسي في الجزائر :

أولا: نعرف الاستشراق .

-**التعريف اللغوي** : الاستشراق مصدر من الفعل السداسي استشرق و أصله (ش ر ق) و الألف و السين و التاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب و على هذا فالاستشراق أي طلب الشرق[5] و الشرق أو الجهة التي تشرق منها ، و المشرق مثلا ، و في النسبة : مشرقي – (بفتح الراء و كسرها) والشَرْقَة والمَشْرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء. وتشرَّق: أي جلس فيه. وأشْرَق: دخل في وقت شروق الشمس، وأشرقت الشمس: أضاءت[6] .

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وعلى هذا فمعنى الكلمة يدور حول: جهة الشروق، والضوء (والذي هو يتبادر إلى الذهن عند ذكر الشمس). فسمي الاستشراق بذلك لأن أهله (الغرب) طلبوا علوم المسلمين والعرب، وبحثوا في الإسلام.

- **اصطلاحا** : اختلفت معاني الاستشراق تبعاً للهدف الذي وجّه أصحابه، ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق ما يلي:

-هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه[7].

أما تعريف الموسوعة الميسرة فهو: "تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم. ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.([8])"

نشأة الاستشراق الفرنسي:

نشأت العلاقة بين فرنسا والعالم الإسلامي مند فتح المسلمين لمقاطعات فرنسية ثم استمرت أثناء وجود المسلمين في الأندلس ، و في الحروب الصليبية تم إنشاء طرق للتجارة ، و تبادل السفراء ثم احتلال شمال إفريقيا ، و حملة نابليون على مصر ، وفتح قناة السويس و الانتداب الفرنسي في سوريا و لبنان و كانت تلك العلاقات متعددة متنوعة متعاقبة اختلطت فيها الحرب و السلم و التجارة و الثقافة جميعا [9] ، و في عام 1553م قام فرانسو الأول بالمحاولات الفرنسية الأولى لتدريس العربية واللغات السامية الأخرى حيث أنشأ معهداً بباريس، وأعدّ فيه منبراً لتدريس العربية واليونانية واللغات السامية الأخرى، ثم جُدد بعد ذلك بداية القرن السادس عشر الميلادي([10]). وقد ضمت فرنسا أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن في العصور الوسطى، وهي ترجمة قام بها انجليزي وألماني، واستعانوا باثنين من العرب، وتمت عام 1143م، برعاية (بطرس المحترم) رئيس دير كلوني بجنوب فرنسا وهو من أهم الأديرة في أوروبا. وكانت ترجمة رديئة كثيرة الأخطاء.

مظاهر النشاط الاستشراقي الفرنسي:

فقد تجلّى الاستشراق الفرنسي في مظاهر عديدة، ويمكن إجمال المؤسسات العلمية التي أنشأتها فرنسا في الأمور التالية:

أولاً: كراسي اللغات الشرقية :

ثانياً: المكتبات الشرقية: في فرنسا مكتبة باريس الوطنية، 1654م. و كانت تحتوي على ستة ملايين كتاب ومخطوط، منها نحو 7000 مخطوط عربي.

-مكتبات الجامعات والمعاهد:

-المكتبات الخاصة:

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مكتبات شمالي أفريقيا:

ثالثاً: المطابع الشرقية: بدأت الطباعة الشرقية بالعبرية في باريس عام 1519م،

رابعاً: الجمعيات الاستشراقية:

خامساً: المجلات الشرقية: و هي كثيرة.

سادساً: المجموعات الشرقية:

خصائص الاستشراق الفرنسي:

تميز الاستشراق الفرنسي بسمات عديدة ذكرها أحد الباحثين في شؤون الاستشراق و هو إبراهيم نملة في كتاب الاستشراق و المستشرون[11]

تتركز دراسات المستشرقين الفرنسيين حول ثلاثة محاور: المحور الديني، والمحور السياسي، والمحور الاستعماري.

للاستشراق الفرنسي أثر كبير في توجهات الاستشراق في العالم.

معهد اللغات الشرقية أهم مكان ترعرع فيه الاستشراق الفرنسي.

كان لجامعة السوربون أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.

لتأسيس المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية ساعد على فرنسية هذه المجتمعات في بلاد.

يمتاز بالتخصص

اعتماد الاستشراق الفرنسي على الرهبان و القساوسة.

اهتم الاستشراق الفرنسي على المجتمعات العربية و الإسلامية

يعتبر مرجعية الأوروبية في الاستشراق.

ترك بصماته الواضحة على التعليم في أفريقيا وخاصة في شمالها.

اهتم كثيراً بالآثار .

كان الاستشراق ممزوجا بالاستعمار و التبشير مما جعله أكثر تعصبا ضد العرب و الإسلام مما جعل الجزائر تعاني كثيرا و خاصة على مستوى الحياة الاجتماعية لأنه كان استدمارا لكل شيء[12]

استدمار للأرض و الإنسان ماديا و معنويا ،و الفرد هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع و تنشيط الحياة الاجتماعية و هذا ينعكس بالسلب على الحياة الاجتماعية في الجزائر ، رغم الجهود المبذولة من طرف الدعاة و رجالات الإصلاح و المثقفين و الفكر لازلنا نصلح ما أفسده الاستشراق الفرنسي لأن أكبر جرم هو إفساد الهوية و كل ما يبث الصلة للحياة الاجتماعية لأنه بحق جريمة ضد ظاهرة أو نشاط بكل المقاييس.

و ككل ظاهرة أو نشاط أو حركة لها انعكاسات على المجتمع و لها آثار على الحياة الاجتماعية و خاصة إذا علمنا أن الاستشراق يعمل على إضعاف المجتمعات العربية و الإسلامية ومنها المجتمع الجزائري الذي نحن بصدد تشخيص النشاط العدائي الذي لاحق به من طرف الاستشراق الفرنسي و الذي مهدا لاحتلال الجزائر و أفسد المجتمع الجزائري يبث السموم في آدابه و نشاطه التعليمي، لأن لا بدون التعليم

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

على اعتبارها من أساسيات الحياة الاجتماعية فنجد الأعداء أو الخصوم إذا أرادوا الإفساد نالوا من مجتمع ما ،أفسدوا آدابه و إبداعه ، فأصبح سمج المزاح فاسد الطبع و العكس صحيح لأن الآداب و التعليم هو صورة ذلك المجتمع و عندما نقول الآداب و التعليم نقول اللغة و التي ركز عليها الفرنسيون و نشاطه على ضرب اللغة التي تمثل الفكر و الهوية و الحضور الاجتماعي للمجتمع.

الأثار الاجتماعية للاستشراق الفرنسي في الجزائر:

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زالت تنخر جسد المجتمع الجزائري و الذي مازال الاستشراق الفرنسي حريصاً على تحقيقها في الجزائر و العالم الإسلامي، فقد درس الاستشراق الفرنسي المجتمع الجزائري دراسةً معمقةً ، معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية على أن الغرب هو يعد المجتمعات الأرقى في العالم. وقد استطاع الاستعمار بالتعاون مع الدوائر الأخرى من الاستعمار في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد حيث نجده في الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية وذلك لتفريق اتحاد و شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الوئام والتلاحم.

كما نجده عمل في الجزائر وإلى حد لان على تشجيع النزاعات الانفصالية، حيث نجده قسم الشعب إلى عرب وبربر، وتعليمهم اللغة الفرنسية. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب التي نشط فيها الاستشراق الفرنسي في المجتمع الجزائري حياة الأسرة آو بنية الأسرة وعلاقة الرجل والمرأة ، عمل على تشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر حداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم.

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا[13]

بل يذهب يقول في قصيدته

تركوكِ بين عباءةٍ وشقاءِ مكؤوبةً في الليلة اللـيْلاءِ

مغلولةَ الأيدي بأسـوأ بقعةٍ محفوفةً بكتـائب الأرزاء

دفنوكِ من قبل الممات وحبَّذا لـو متِّ قبل تفاقمِ الأدواء[14]

و نجد أن لهذا كله قيّض الله رجالا أمثال رجالات العلماء المسلمين و بعض المصلحين أمثال الهادي و السنوسي و رمضان حمود ... الخ.

للدفاع عن المرأة و الأسرة على اعتبارها اللبنة لبناء مجتمع يتميز بمناعة قوية لصد السلوكيات الهدامة و إقرار حياة اجتماعية أصيلة فالهادي سنوسي قال يومها قصيدة تحت عنوان المرأة الجزائرية من أنت ؟ قالت: إنني عربية .

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ويرى الدكتور محمد خليفة إن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة و الجزائرية نابع من وضع المرأة العربية أنها نموذج يتحدى به إلى جانب دعوة المرأة على التمرد داخل الأسرة و على النظام و الخروج باسم الحرية لأن المرأة إذا استعملت في الخير: الأم مدرسة إذا أعدتها أعدت جيلا طيب الأعراق و إذا استعملت في الشر أتت على الأخضر و اليابس.

الاستشراق الفرنسي و ضرب اللغة العربية :

إن اللغة هي أحد مقومات الحياة الاجتماعية و لهذا عمد على ضرب اللغة من أجل طمس الهوية و الوجود للمجتمع الجزائري[15] ، و قبل الخوض في ذلك نرجع على جناح السرعة إلى ما قبل الاستعمار و نتكلم عن واقع اللغة و التعليم و النقاش داخل المجتمع الجزائري ، كان الواقع الثقافي الجزائري قبل 1830 مزدهرا في ظل ثقافة أمازيغية عربية إسلامية فلم يكن دين الإسلام دين عبادة فقط بل كان نظام للعلاقات الاجتماعية و هو مصدر لهذه الثقافة، ولم تكن الأمية سائدة في أوساط الجزائريين و قد شهد هذه الحالة رجالات (valez) سنة 1834 قائلا: " إن كل الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة و الكتابة ، و في كل قرية توجد مدرستان[16] ، و لكن بعد الاستعمار استهدفت سلطات الاستعمار هذه الوضعية و خربت كل تلك البنية الاجتماعية و الثقافية و حولت البنايات العلمية إلى أشياء أخرى

حيث ارتكزت هذه السياسات الاستعمارية الاستشراقية على ثلاث أسس – الفرنسية – التنصير – الإدماج ، كلهم انصبوا علي محاربة التعليم و الثقافة العربية ، الإسلامية حيث استهدفت المساجد و المدارس و الزوايا و الكتاتيب، و على سبيل المثال لا الحصر قسنطينة عاصمة الشرق كان فيها 80 مدرسة و 07 معاهد لم يبق إلا 30 مدرسة هذا في سنة 1837 و عنابة كان فيها 39 مدرسة و 37 مسجدا جامعا و زاويتان لم يبق منها سوى 03 مدارس[17].

و استعملت قرارات و قوانين من أجل ذلك القرار الصادر 1893/10/18 القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة ، قانون 1904 الذي يقضي منع الجزائريين فتح أية مدرسة لتعليم العربية و القرآن[18].

و بعد ذلك عملت على نشر اللغة الفرنسية و ذلك لضمان خطة و إدماج الجزائريين في ثقافة فرنسا و ديانتها نهائيا.

الاستشراق وواقع الحياة الثقافية في ضوء احتلال الجزائر :

إذا كانت جرائم الاستعمار قضية سياسية و قانونية في ظاهرها فإنها قضية اجتماعية و ثقافية في الأساس لأن انعكاساتها اجتماعية بالدرجة الأولى و يمكننا أن نلخص ذلك في عدة نقاط [19]

- أخذت تدعوهم (أي الشعب) إلى الحملة الفرنسية و الإدماج في الوطن الفرنسي.
- ظهور شعار الجزائر فرنسية ترتب عنها إنشاء و بناء المدارس الفرنسية في أطوارها المختلفة لتكون الإدارة الفعالة في تغيير الطابع العمراني و الثقافي للشعب الجزائري .
- تشجيع اللغة العامية من أجل ضرب الوحدة و زرع الطائفية.

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- نشر اللغة الفرنسية بين أوساط المجتمع الجزائري عنوة لمحاربة اللغة العربية و القرآن التي تدعو إلى الجهاد والحرية و الكرامة و عدم الظلم.
- و كذلك من الظلم الذي تعرض له أبناء هذا المجتمع و هو كتابة اللغة العربية بحروف اللاتيني بدعوة وصولها سريعا إلى الأزمات.[20]
- ونجد مفدى في إلياذته يصور لنا الأثر الواضح التي تركه الاحتلال داخل المجتمع الجزائري و هذا لعب فيه المستشرقون دورا مهما.

يقول مفدى في أبيات من الإلياذة يصور لنا الجانب الاجتماعي عدة ظواهر منها ظاهرة التخنث و الانحلال و ظاهرة التنصير و شرب الخمر و إتيان الفواحش بعدما كان المجتمع الجزائري من قبل مجتمعا محافظا غيوراً على دينه و إسلامه [21]

وشاع الشذوذ وذاع الحشيش***** وأصبح للموبقات وسيله
وتقرف آنافَنا القاذورات فلم***** تُجد في صرفها أي حيله[22]

و قوله كذلك

ومستهترون أضاعوا الثنايا***** وشاع تنكرهم للسجايا
وقالوا: التقدم خلع العذار،***** وهتك العفاف، ونشر الخطايا
وجدل الشعور ولبس الحليّ***** وحمل القلائد مثل الصبايا
ويتفخرون بشرب الخمور *****وفي الكأس ترسب كل البلايا
تخنث هذا الزمان ودبت *****خنافيس "هيبي" تشيع الرذيله
ونافسَ آدم حوّاءه دلالا، *****وغنجًا، وذبح فضيله [23]

منهج الاستشراق في الجزائر:

- **الغزو الفكري للمجتمع الجزائري :**

من السمات المميزة لدعاة التخريب في الفكر في المجتمع الجزائري ،رأيهم متواصل لإقحام مصطلحات غريبة عن المجتمع الجزائري و فكره و تاريخه ، وهي مصطلحات مستمدة في المقام الأول من تاريخ المجتمع الفرنسي و تطوره و تمثل في الوقت ذاته النزعة العلمانية التي سادت المجتمع فيما بعد ،و نظرة إلى هذه المصطلحات تكفي لتحديد مصدرها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد بعض المفكرين العرب و الجزائريين[24].

مصطلح الله غالب أو التواكلية التي يرددها بعض فئات المجتمع (بمعنى الإيمان بالقضاء و القدر) يجعل المجتمع مسلم إلى حيثيات الاجتماعية و عدم محاولة حتى تغيرها مصطلح الاغتراب الزمني (بمعنى الالتزام بالقرآن و السنة) و هذا يعد تخلف كذلك نجد إشاعة مفردات داخل المجتمع الجزائري لأصوله الدينية أو الظلام الدامس ، بمعنى البعث الحضاري و نجد كذلك تسمى الدعوة الغوغائية و كذلك نجد أن الاستشراق الفرنسي شجع بعض المصطلحات من أجل جعل المجتمع يعيش في صراع داخلي مع بني

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

جنسه، و إلا يركز على قضايا حساسة تجعله في المقدمة مع المجتمعات الراقية ومن بين هذه المصطلحات التي جعلت التنظيمات و المنظمات الاجتماعية في الجزائر تعيش تطاحناً و نفوراً مما يشجع الفُرقة و عدم الوحدة التي يطمح إليها العدو مصطلح "الصراع الطبقي " إلى جانب تسرب بعض المصطلحات إلى قاموسنا السياسي[25] من خلال تأثير بعض الباحثين لنهج المستشرقين مثل " الحكومة الدينية " أو " الحكومة التيوقراطية " ووصف الحضارة الإسلامية و العصور الزاهية بمصطلح عصر الظلام و الجهل و إنها عصور تختلف و سموها عصور وسطى[26] حتى لا يرجع المجتمع الجزائري إلى الأصل لأنه في فترة من الفترات عاش الرقي تحت هذه الحضارة و عاش الازدهار عندما كان يتحكم في مياه البحر و البر أيضا.

إلى جانب هذا كله عمل المستشرقون إلى ضرب هوية المجتمع حتى يبقى بدون هوية ويظل تائهاً في ظلمات التخلف والجهل ، تشجع الزوايا التي كانت تخدم تحت إمرة الاستعمار وحطموا الزوايا التي كانت تعمل ضدهم إلى جانب إعطاء الكلمة إلى رجالات الطرق الصوفية والعمل على غرس الخرافات والخزعبلات وبعث الأساطير لأن للمستشرقين رأي معروف في السنة والأحاديث والقرآن مما راحوا يلبسون على المجتمع عن هدفين المصدرين المقدسين للجزائريين[27].

يقول الشيخ أبو زهرة عن هذه الحقائق " كان تأثر وتأثير الاستشراق أن حاولوا تأويل القرآن فراحوا يغيرون عليها بضروب من التأويل إن شئت أن تسميها عبثا بمعاني القرآن وإن شئت تسميها إفسادا للغة[28] " وبالتالي جعل الشعب الجزائري يعيش اغتراباً على مستوى القيم والمبادئ والهوية ومما يسبب خللا في الحياة الاجتماعية.

اللغة والاستشراق :

إن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصر من مكونات الثقافة، وبما أن اللغة ظاهرة حياتية اجتماعية صارت من أكثر الظواهر إنصافا لحياة الأفراد تخضع لمقاييس المجتمع ، وأعرافه ، وتقاليده، وثقافته بل هي الطريق لكشف عادات المجتمع والتقاليد المعرفية والحضارية[29] ، فنجد أن الاستشراق عمل على دراسة اللغة العربية في الجزائر واللغات الأخرى وتعليمها للأهالي عبر الجزائريين من أجل تحكم في خيرات البلاد ماديا ومعنويا ، وتقديم الدعم للاستعمار كمن أجل معرفة الحياة الفكرية والعقلية للمجتمع الجزائري ولهذا فكر الاستعمار الفرنسي في الجزائر في دراسة اللغة العربية وبعض اللهجات من أجل التحكم في البلاد والعباد وسخر إمكانيات هائلة ، ورجالات الاستشراق لعبوا دورا مهما في ذلك.

المستشرقون وتعلم اللغة العربية للأوربيين :

عندما يذكر الاستعمار الفرنسي يتجلى في الأذهان موقفه من اللغة العربية ، وأكيد أنه حارب هذه اللغة بكل الوسائل حتى عجم أهل الجزائر وخاصة المجتمعات في المدن وبسبه قل في الأرياف وفرض الفرنسية لفرض عاداته وتقاليده ومسح المجتمع الجزائري لأن اللغة تمثل الفكر ،وضرب اللغة العربية هو ضرب كيان ووجود المجتمع الجزائري إما تعلم الفرنسيين هو من ،جل فهم المجتمع وخباياه ودراية بطريقة تفكيره وبالتالي يمكن التحكم فيه واستغلاله[30] . واستعمل الفرنسيين اللغة العربية لمصالحهم

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الاستعمارية وقبل كل هذا هناك تجليات تحكم هذه التجربة " المستشرقون واللغة العربية ونقلها " نتناولها باختصار :

الحملة الفرنسية على الجزائر وقعت بعد ثلاثين عاما من بعد الحملة على مصر وهي حملة كان لها أثر على المشرق، ونجد أن الفرنسيين استفادوا من تجربتهم في مصر من عدة نواح ، وخاصة ما يتعلق باللغة العربية . إن المترجمين اللذين شاركوا في الحملة على مصر كانوا رجالا مشارقة من مصر وسوريا ولبنان ورجالا أوربيين وهم أنفسهم ترجموا للجيش بورمون في الجزائر[31].

نجاح الحملة الفرنسية وعملت على التوسع ونشأة الإدارة الفرنسية واستيطان آلاف الأوربيين كل ذلك جعل الفرنسيين يتعلموا اللغة العربية في الجزائر، وهنا بدأ النشاط الفعلي للمستشرقين مهدوا لذلك عن طريق الرحلات الاستكشافية والبعثات العلمية لدراسة الجو الاجتماعي النفسي والاجتماعي الذهني للسيطرة على المجتمع الجزائري.

لويس برنيه ودوره في الحياة الاجتماعية والتعليمية في الجزائر للأوربيين:

المستشرق لويس برنيه هو من مواليد مونتيغري montegres سنة 1814م اشتغل في الطباعة أول الأمر ثم شغف باللغات الشرقية ،وكان قد تولى كرسي العربية في مدينة الجزائر سنة 1836 إلى وفاته 1869[32] ، وشارك في مشاريع عدة علمية لاكتشاف المجتمع الجزائري ، كما أنه أخرج أفواجا من المترجمين (العسكريين والقضائيين) والمدرسين للغة العربية في الجزائر ، وكان أول من شجع العربية العامة لغاية ، وهو ضرب اللغة الفصحى وأول عمل لبرينيه هو بدء الدروس العامية[33] وجاء ذلك لهدف وهو تعريف الاوربيين المستوطنين بمبادئ اللغة أو اللهجة العامية لإدراك وفهم الحياة في المجتمع الجزائري ،وقال إن كل فرد من الفرنسيين يشعر بضرورة توصيل حاجاته إلى الأهالي بدون وسيطة .وقسم نشاطه التعليمي إلى قسمين:

قسم خاص باللهجة الجزائرية من خلال توضيح تعابيرها الشائعة واستعمالها ودربه الساميين عليها .

وكانت حصصه مقدمة إلى ثلاث حصص للتدرب على العربية الدارجة.

وقد أفهم الفرنسيين كلهم على تعلم اللغة العربية لفهم ومعرفة الشعوب الأخرى.

وإن اللغة العربية ليست وسيلة اتصال بالنسبة لفرنسا بعالم الأهالي (الجزائيين) فقط بل حتى المجتمعات الإسلامية الأخرى.

إن دور برنبيه في ترويج اللغة العربية مهمة اختار لها وكان عليه أن ينفذها بدقة ، ولأنه بذلك يحقق أهداف الادراة الاستعمارية .

ونختم هذا العنصر اللغة العربية في الجزائر و دور الإستشراق في ضربها لأن ضربها هو ضرب المجتمع الجزائري بتعليق المصلح و العلامة عبد الحميد ابن باديس بقوله وردا عن المستشرق ماسينيون حول اللغة العربية عندما كان ماسينيون في طريقه إلى مصر لحضوره دورة مجمع اللغة العربية [34]ا

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

خاتمة:

و من خلال هذه الجولة القصيرة نستخلص أهم نتائج الاستشراق و التخريب الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

انتشار الجهل و الأمية بشكل لا مثيل له بحيث ورثت الحكومة الجزائرية وضعا ثقافيا و اجتماعيا مزريا

التشكيك في هوية الشعب الجزائري من خلال ازدواجية الحصة الثقافية نظرا لازدواجية اللغة.

هجرة كثير من المثقفين إلى الخارج خاصة المشرق العربي أي كانت الضغوط الثقافية العربية أقل.

ضياع كثير من المصادر و المخطوطات التي تعد من أهم المصادر الاجتماعية التي استولى عليها المستشرقون.

تشجيع البدع و الخرافات لتكون عن الفكر العلمي الواعي

و مازلنا لحد الآن نعاني من الهزات الارتدادية كهذا التخريب المادي و المعنوي الذي تعرضت له الجزائر.

الهوامش:

[1] محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط1 2002 م ، ص 41

[2]

[3] مذكرة تخرج ماستر ، بركان بن يحى ، الاستشراق الفرنسي و نشاطه في الجزائر ، لويس بروني أنموذجا ، ص2 سنة 2013 -2014

[4] عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي ، البصائر (2) ع 174 ، 1951/11/05 ص 1.

[5] محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط2 2002 م ، ص 17 .

[6] قاموس المحيط مادة (ش.و.ق) ص 1158 ، المصباح المنير مادة (ش.و.ق) 310/1-311

[7] محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط2 2002 م ، ص 14 و ما بعدها .

[8] أحمد أمين حسن محمد بن عامر المستشرقون و القرآن الكريم ، دار الأمل ، أربد ، ط1 2004 ، ص 11 و ما بعدها .

[9] نجيب القيقي ،المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة دون تاريخ ، نشر 138/1 .

[10] عبد الله الغليان ، الاستشراق بين الإنصاف و الإجحاف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2003 ، ص 78 .أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، سنة 1996 ، ص 17 .

[11] الطيب بن إبراهيم ، الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر ، دار النشر المنابع لنشر و التوزيع ، الجزائر ط 1 ، سنة 2004 .

[12] صالح خرفي الشعر الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، سنة 1984 ، ص 180.

[13] نفس المصدر ص 181 .

[14] شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 125 .

[15] الجزائر و معركتها الثالوث المدمر (التنيصر و الاستشراق و الاستعمار) ، مختار بن قويدر ، دار الكشاف للنشر و الطباعة و التوزيع ، ط1 -2003 ، ص55 .

[16] عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصر القديمة و حتى سنة 1945 ، دار الأمة ،ط1 -2011 ص 96 .

[17] المرجع نفسه ص

[18] المرجع نفسه ص 11

[19] رمضان جينوني ،موقع منتدى رحاب الكلمة مدونات الأعضاء ، ص 1 5

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر/ العدد الأول /01 أفريل 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[20] مولود قاسم ايت بلقاسم عن التلفزيون الجزائري ، محاضرة في سطيف سنة 1985 ، جرائم الاستعمار الثقافية .

[21] نسيمة زمالي قراءة في اليادة الجزائر لمفدي زكرياء ، دار الهدى ، عين مليلة ، د ط2002 ، ص 22 .

[22] مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، دار الموقع لنشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر ، 2004 ، ص 96

[23] المصدر نفسه ص 96 .

[24] فؤاد زكريا ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، مصدر سابق ، دار الكتاب للنشر ، ص 35 إلى ص 78 .

[25] محمد الخير عبد القادر ، الاسلام و الغرب دراسة في القضايا ، الفكر المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1991 ، ص 136 .

[26] فؤاد زكريا ، الصحوة الاسلامية ، ص 47 -48 .

[27] محمد الخير عبد القادر ، المصدر نفسه ص 141 .

[28] محمد الخير عبد القادر ، المصدر نفسه ص 142 .

[29] ينظر علم اللغة الاجتماعي ، مدخل 216-217 .

[30] د/ أبو القاسم سعد الله أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر الجزء 4 دار الغرب الإسلامي ، سنة 1996 ، ص 43 .

[31] الكونت دي بور سون كان وزيرا للحربية في عهد شارل العاشر و قاد حملة احتلال الجزائر .

[32] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم الملايين ، لبنان ط3 ، ص56 .

[33] د/ أبو القاسم سعد الله أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر،ص49 .

[34] جريدة البصائر العدد 20يناير 1939 ، عبد الحميد ابن باديس .

www.manaraa.com